

اللبنانيون... «متلازمة ستوكهولم»

خبر الله خير الله
إعلامي لبناني



ورقة إيرانية أكثر من أي وقت مضى. لا مصلحة للبنان في أن يكون ورقة إيرانية، خصوصا في ظل مواجهة بين إدارة دونالد ترامب و"الجمهورية الإسلامية". هناك إصرار أمريكي على استمرار العقوبات على إيران التي تريد أن تظهر في كل يوم أنها قوة إقليمية تتحكم بأربع عواصم عربية، هي بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء. من المفيد للمسؤولين اللبنانيين اتخاذ مواقف صريحة وجريئة بعيدا عن أي لغة خشبية. يفترض بهم الخروج من العقد التي تحكمت بهم طويلا في مقدمها عقدة "المقاومة" التي أوصلت إلى اتفاق القاهرة في العام 1969، وشرعت السلاح الفلسطيني الذي تحول إلى جزء من الصراعات الداخلية اللبنانية. ليس سلاح "حزب الله" أفضل من السلاح الفلسطيني، بل هو أخطر منه نظرا إلى أن لبنانيين يحملونه. هذا السلاح الميليشيوي المذهبي يشكل الخطر الأكبر على لبنان، خصوصا أنه يلعب دوره في حرب الإبادة التي يتعرض لها الشعب السوري منذ العام 2011. إنه بكل بساطة سلاح يحمي المتهمين أو "القذيسين" الذين اغتالوا رفيق الحريري وارتكبوا جرائم أخرى استهدفت اللبنانيين الشرفاء. إنه السلاح الذي يعمل على عزل لبنان عن محيطه العربي، وعلى تدمير كل مؤسسة من مؤسسات الدولة اللبنانية وكل ما له علاقة من قريب بالاقتصاد اللبناني، الذي كان مزدهرا في الماضي القريب، والذي تبقى المصارف مع قطاع الخدمات والسياحة عموده الفقري. يتلهى اللبنانيون بالشعارات الجوفاء، فيما اقتصاد بلدهم في حال يرثى لها وفيما النفايات تاكلهم وفيما لا كهرباء ولا ماء ولا طرقات في بلد كانت بنيتها التحتية قبل أعوام قليلة من بين الأفضل مقارنة مع دول المنطقة. هناك موازين قوى لا يستطيع أحد تجاهلها مهما رفع من شعارات. يكفي للناكس من ذلك حجم الخسائر التي لحقت بلبنان جراء حرب صيف 2006 التي أوقفها القرار 1701. مصلحة لبنان في التزام هذا القرار بحذافيره، وليس بخرقه عبر التفاوض عن الاتفاق التي أقامها "حزب الله" في جنوب لبنان. في النهاية، يبقى المنطق هو المنطق. مضت أربعون سنة والجمهورية الإسلامية تظن أنها تريد القضاء على هذه "الغدة السرطانية" التي اسمها إسرائيل. ماذا كانت نتيجة ذلك؟ النتيجة الوحيدة أن إسرائيل تكسرت احتلالها للجزء الذي تريده من الضفة الغربية، بما في ذلك القدس. أما بالنسبة إلى لبنان، فهو في حال تراجع مستمرة ولم يعد هناك عربي يسأل عن مصيره كما كانت عليه الحال في الماضي. زاد طموح اللبنانيين إلى الهجرة، خصوصا بين الشباب المتعلم الذي لم يعد يجد فرص عمل في وطنه بسبب سلاح "حزب الله" الذي لعب دوره في انهيار الاقتصاد وإبعاد العرب، خصوصا أهل الخليج، عن لبنان في ظل تدهور على كل المستويات في البلد...

هل يتصالح اللبنانيون مع المنطق... أم يبقون أسرى الشعارات؟ الخوف كل الخوف أن يكونوا أصيوا، وهذا يشمل كبار المسؤولين في البلد، بـ«متلازمة ستوكهولم» (Stockholm Syndrome).

ما هي «متلازمة ستوكهولم»؟ هذه ظاهرة عمرها 46 عاما ظهرت للمرة الأولى على موظفي فرع مصرف في العاصمة السويدية احتجز موظفوه رهائن. ظهرت على الموظفين بعد مرور بضعة أيام علامات التعاطف مع محتجزهم، بل تبنا مطالب الخاطفين. هل هذا ما يحصل في لبنان حاليا بدل وضع الأمور في نصابها، والاعتراف بأن لا مستقبل للبلد بالوضوح لمن صار رهينة لديهم... وما دام هناك سلاح غير شرعي غير سلاح الدولة اللبنانية ممثلة بجيشها وقوى الأمن الداخلي فيها؟

لا يستطيع «حزب الله» ردع إسرائيل. كل ما يستطيعه هو التسبب في تدمير لبنان أكثر في ظل شعارات جوفاء لا تخدم سوى إيران ومشروعها التوسعي الذي يمكن أن يهدم ولا يستطيع أن يبني...
تبقى حرب صيف 2006 منعطفًا تاريخيًا على الصعيد اللبناني نظرا إلى أنها انتهت بتدمير جزء لا بأس به من البنية التحتية اللبنانية على يد إسرائيل، وابتصار للحزب على لبنان واللبنانيين. تأكد بعد حرب صيف 2006 أن "حزب الله" يتحكم بقرار السلم والحرب في لبنان... وصولا إلى مرحلة أصبح فيها يختار اللبنانيين رئيس جمهوريتهما؛ لا يختلف اثنان على أن إسرائيل تحرق القرار 1701، ولكن من يقرأ نص القرار، وعلى اللبنانيين تعلم القراءة بدل تصديق الشعارات الفارغة وترديدها، يكتشف أن "حزب الله" أخذ ما اراده من القرار وراح بتصريف بما يخدم مصالحه حتى في منطقة عمليات القوة الدولية في جنوب لبنان. هذه القوة الموجودة في الجنوب منذ العام 1978 وهي أصبحت، بعد حرب صيف 2006 وصدور القرار 1701، قوة دولية "معززة" بالمزيد من الرجال وذات مهمات أخرى تشمل منع تهريب السلاح غير الشرعي إلى لبنان من البر والبحر والجو...
كان يمكن للبنان أن يدافع عن مصالحه مستندا إلى القرار 1701. من مصلحة لبنان الالتزام الدقيق بالقرار والعمل على تطويره. هذا على الأقل ما يفهم من كلام الرئيس سعد الحريري في أثناء زيارته الأخيرة إلى الولايات المتحدة، في أثناء الزيارة، التي سمع خلالها رئيس مجلس الوزراء كلاما صريحا عن المخاطر التي تهدد لبنان واقتصادها، دعا الحريري إلى تحويل القرار 1701 من قرار يوقف "الأعمال العدائية"، إلى قرار يثبت "وقف إطلاق النار" بين لبنان وإسرائيل.
من واجب المسؤولين اللبنانيين إدانة أي خرق إسرائيلي للأجواء اللبنانية. هذا أمر مفروغ منه. لكن هذا الأمر لا يتعارض، بأي شكل، مع اتخاذ موقف صريح من "حزب الله" الذي لا تهمة سوى مصلحة إيران. كل ما يفعله الحزب حاليا هو العمل من أجل تحويل لبنان ورقة إيرانية،



عرض ترامب الدرامي في قمة الدول السبع

عدي صادق
كاتب سياسي
فلسطيني



كانما قُدر للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أن يستضيف عرضا أكثر درامية من سابقتها في تاريخ قمم زعماء الدول الصناعية السبع، في مدينة يارترين الفرنسية. فقد كان هو، ومعه سائر الزعماء الأوروبيين، مرة أخرى، أمام رئيس أمريكي مختلف عن كل من سبقوه، وليس له من وداد في القمة، إلا مع بوريس جونسون، رئيس حكومة المحافظين في بريطانيا، الذي اضطر إلى معارضته في إحدى لقطات العرض. فالرجل لا يدع أمرا مما كان الأوروبيون يتوافقون عليه مع أي رئيس أمريكي، إلا ويذهب فيه إلى اتجاه آخر. في جلسة الثلاثاء التي نُقِشت فيها اتجاهات المناخ التي يمكن أن تجعل أجزاء من الكوكب غير صالحة للسكن إذا تركت أسبابها دون ضبط، خلف ترامب عن الحضور، وبدت السمة اللافتة في مشهد الاجتماع مقعده الخالي. وقد تعلق في غيابه بانثقاله بحديث قبل الجلسة مع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل ورئيس الحكومة الهندي ناريندا مودي وهما لم يتخلفا عن الجلسة.

حيال مثل هذه القضايا الإشكالية بالنسبة له، كفضية المناخ والاحتباس الحراري، يكون تغيبه وتهربه هما القاعدة وحضوره الاستثناء. على الرغم من ذلك، لم يتعثر تقدم الدول الصناعية في العالم بسبب سياساته، ولم يؤثر غيابه على سياقاتهم في قليل أو كثير. فقد بات الرجل بالنسبة لهم جميعا ينطق عليه القول "لا أوحش من غاب ولا أنس من حضر".

لعل من ناقل القول، أن رئيس الولايات المتحدة اقتتل الكثير من الخلافات مع الدول الحليفة تقليديا للولايات المتحدة، ناهيك عن الدول المنافسة لبلاده على صعيد السياسات الاستراتيجية ومنهجياتها التجارية والعسكرية. والحلفاء التقليديون من جانبهم، أصبحوا يتعاملون مع ولايته باعتبارها مرحلة استثنائية عابرة، يميزها الشطط، لذا استمروا في السير بدون الولايات المتحدة، وفي قممهم الأخيرة مضت قديما عناصر التوافق في الآراء بشأن التجارة والمناخ، ووجدوا أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أقرب إليهم من دونالد ترامب في موضوعات التباحث، ولم يكتروا لكونه سواء منافسا استراتيجيا أم إنه حليف وصديق. لذا تعهد الفرنسيون في منهجية التنظيم، إغلاق الباب المحتمل أن يدخل منه ترامب لإثارة جدال، عندما اختاروا التخلي عن تقليد إنهاء القمة ببيان مشترك، يعكس التوجهات العامة للدول الصناعية، وإستراتيجيتها التوافقية لمواجهة المشكلات الأكثر إرباكا للعلاقات الدولية ولكافة المناخات السياسية والبيئية.

و بخلاف احتمالات انفجار ترامب، كان الفرنسيون حريصين على تحاشي تكرار ما حدث في قمة العام الماضي في كندا، وبذل أقصى الجهود لاستيعاب ترامب والتقليل من ضجيجيه، مستذكزين ما حدث في العام الماضي عندما كان البيان المشترك سببا في هياج ترامب واستعراضه المسرحي الذي انتهى بانسحابه، ثم إهانة ضيفه رئيس الوزراء الكندي جوستين ترودو، واستكمال نوبته بتفريجات على "تويتز" نصب فيها نفسه حارسا للشرف والعدالة، قائلا عن قمة مجموعة السبع في كندا "غير شريفة وضعيفة للغاية". وفي الحقيقة كان الموضوع الإيراني جديرا باهتمام استثنائي من الفرنسيين المعنيين بتخفيف التوتر بين طهران وواشنطن. وكان الشركاء الأوروبيون للولايات المتحدة في الاتفاق النووي مع إيران قد عبروا بوضوح عن موقف لا يتماشى مع موقف ترامب الذي انسحب لوحده من اتفاق توصلت إليه إدارة الرئيس السابق باراك أوباما بهدف كبح برنامج الأسلحة النووية في إيران. هؤلاء قالوا إذا لم يكن الرئيس الأمريكي راغبا في مشاركتهم موقفهم، فإنهم عازمون على المضي فيه بمفردهم.

عندما أسقط الإيرانيون طائرة أميركية مسيرة في يونيو الماضي، اقترب ترامب من الدفع إلى ضربة عسكرية انتقامية، فوجد الأوروبيون أنفسهم مضطرين لوقفه عن هذا العمل الذي من شأنه خلط الأوراق والتسبب في انفجار أمن منطقة الخليج الحيوية بالنسبة لإمدادات الطاقة، ووصول الأمور إلى نقطة اللاعودة. ولهذا السبب دعا ماكرون وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف إلى قمة السبع، متوخيا إجراء محادثات تساعد على نزع فتيل التوتر مع الأميركيين. للرئيس الفرنسي لا يزال ملتزما بالاتفاق النووي، ومثلما يرفض أسلوب ترامب في التلويح بالضربات العسكرية، فإنه حريص على أن تلتزم إيران أحكام الاتفاق دون أن تتأثر بانسحاب ترامب منه. ونجح ماكرون في جعل ترامب يميل في مؤتمر صحفي معه إلى التقليل من شأن أي خلاف مع فرنسا حول إيران. وقال ماكرون عن ظهور ظريف في القمة "لقد فعلت ذلك بمفردتي"، مضيفا أنه أبقى ترامب على اطلاع تام بالمبادرة الدبلوماسية لإيران.

وليس أدل على ارتباك ترامب، من موقفه الداعي في القمة إلى إقناع رؤساء الدول أعضاء مجموعة السبع بإعادة انضمام روسيا إلى هذا التجمع، والعودة

كانت قمة السبع بالنسبة لترامب مسرحا لعرض درامي من المفارقات التي تؤشر إلى يؤس سياسي أميركي راهن.

عن تعليق عضويتها فيه، بعد ضم شبه جزيرة القرم عام 2014. وجادله القادة الأوروبيون حول هذا الأمر، رغم أنهم استأنسوا بروسيا ومضوا معها في التوافق على قضايا اختلفوا فيها مع ترامب. ومن خلال تعليق ترامب لضرورة وجود روسيا في مجموعة السبع، يفهم أنه بات حائرا لا يعرف كيف ينزل عن الشجرة في العديد من القضايا. قال إن وجود روسيا "سيكون مفيدا في حل النزاعات"، وأضاف كمن يتكى على آراء حكما، "يقول الكثيرون، إن الاستحواذ على روسيا وهي قوة، وجعلها داخل البيت أفضل من وجودها خارجه".

هنا يتبدى الشغوف بالنزاعات وبإحباط الحلول، كمن أصبح في أمس الحاجة إلى من يساعده على حل النزاعات وتفنقة المناخ الدولي. لذا قولت دعوته بالسخرية حتى من حليفه الجديد رئيس الحكومة البريطانية. وكان الرأي الغالب لدى المجموعة معارضة ما يدعو إليه ترامب بخصوص روسيا، وقد اتفق الزعماء على أنهم "لم يروا أي دليل على تغيير حقيقي في السلوك الروسي، يستدعي إعادة قبول موسكو في مجموعة السبع".

كان واضحا أن ضيق ترامب من قمم مجموعة السبع، قد ضاق أكثر فأكثر، وأن الأعضاء الآخرين يتعاملون معه كحالة متعبة ينبغي التهيؤ لمنع إضرارها بقممهم. وترامب بطبيعته غير شغوف بالسفر في إطار العمل السياسي، لذا دعاهم بخفة إلى القمة المقبلة في فلوريدا، في ملعب غولف يمتلكه، وقال ستكون هناك فيلا منيفة لكل زعيم. فهو في الاجتماعات الدولية في أميركا وخارجها، يخرج عن أطواره الغربية، إلى غرائب أعجب ويرتدك فينطق بما يستثير الاحتجاج ثم يتراجع، مثلما دعا مؤخرا إلى مواجهة الأعاصير قبالة سواحل أفريقيا بإلقاء قنبلة نووية في عين كل إعصار، وهو ما نفاه لاحقا، ثم قوله وهو يتحدث في مؤتمر صحفي عن استثماراته في بريطانيا، إن من بين ممتلكاته فيها، فندق "دون بيغ" الفاخر وملعب الغولف التابع له، فاستغرب الصحافيون الذين يدركون أن الفندق يقع على الساحل الغربي لجمهورية أيرلندا، وليس في المملكة المتحدة.

كانت قمة السبع بالنسبة لترامب مسرحا لعرض درامي من المفارقات التي تؤشر إلى يؤس سياسي أميركي راهن.

